بسم الله الرحمن الرحيم

" أثر تعاليم الدين الإسلامي على العمارة في العالم الإسلامي "

المسكن الإسلامي

بقلم

م. جمال محمد حلمي عطية

إهـــداء

" إلى كل من أســـهم في تعليمي حـــرفاً "

أهدي هذا المجهود الضئيل وفي صدري لمحة أمل
أن يحوز رضاء الله ورضاكم عني ..

والله الموفق ..

قال تعالى في سورة النحل (٨٠) " والله جعل لكم من بيوتكم سكناً .. " فكيف يكون البيت سكناً لساكنيه إن القرآن كما تعلمون لا يعلم تأويله إلا الله ، ولكن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " خذ من القرآن ما شئت لما شئت " . يجعلنا نحاول تفسير بعض الكلمات دون أن نحمل الكلمة أكثر من معناها .

فكلمة سكناً فعلها سكن و سكن إلى الشيء أي أرتاح إليه والسكينة أي الطمأنينة والهدوء والأمان .

وقد أستطاع الفنان المسلم بتيقنه من ثوابته العقائدية إلى تحقيق هذه المعاني في عمارته متواخياً الرمزية في التعبير حتى لا يضاهي خلق الله .

وهذه الثوابت العقائدية هي :

التوحيد : فالله هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو الخالق البارئ المصور .. ولما كان النحت والتصوير للأشياء غير مستحب فقد عمد الفنان المسلم إلى التجريد في التصوير والنحت ولجاء إلى الخط العربي والمنمنمات والزخارف الهندسية البحتة أو ذات التوريقات وفنون السيراميك والزجاج الملون والنجارة المشغولة في تشكيلات لا نهائية ترمز إلى صفات الخالق سبحانه ..

تعظيم الوالدين والعلاقات الأسرية : قال تعالى في سورة لقمان (١٣) " ووصينا الأنسان بوالديه ... " فأحترام وتقديس الوالدين قد جعل الفنان المسلم يهتم بعمارة المسكن . " كلكم راعٍ وكل راعٍ مسؤل عن رعيته " و قد راعى الفنان المسلم معنى السر والستره .. مراعياً المحافظة على أسرار بيته وحرماته . ومحاولة تحقيق معيشة طيبة وكريمة لأهل بيته ..

التواضع : قال تعالى « إن الله لا يحب كل مختال فخور » وقد أنعكس هذا على العمارة فى إعطاء كل شئ حقه دون مغالاة أو إسراف ..
فالواجهات بسيطة فى التشكيل تميل إلى الأفقيه تناغم فيها الظل والنور دون إسراف . وكذلك خرجت الزخارف بسيطة ذات قوالب تصميمية شبه ثابته ولكنه أبدع من خلالها .

الطهارة : قال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة سوى نظيف » ومن المعروف أن البيت الإسلامى من أوائل البيوت التى عنيت بتواجد الحمام بها هذا بخلاف الحمام الشعبى أو العام . ولدواعى الطهارة فصل الفنان المسلم بين الحمام و المرحاض حتى إذا تواجدا فى مكان واحد كان يفصل بينهما ولو بواسطة باب .

وكذلك أهتم المسلم بنظافة المكان وخاصة أماكن الصلاة فكان يوجد دائما فى داخل كل قاعة أو حجرة مكان لاتطأه الأحذية حفاظاً على طهارته فالبيت فى إستعداد دائم للصلاة .

الخصوصية : وتعنى المحافظة على أهل البيت وأسراره وحرماته وتنقسم إلى خصوصية داخلية : عن طريق فصل جناح المعيشة و الإستقبال عن جناح النوم

خصوصية خارجية : عن طريق إستقلال كل مسكن عن الآخر بتقليل الفتحات المتقابلة وتضخيم الجدران أو ترك مسافة كافية بين المساكن .

التراحم : قال صلى الله عليه وسلم « تقاربوا تراحموا .. » فأن تجميع الأبنية يرحم كل منها الآخر فتقل عدد الأسطح المعرضة لأشعة الشمس المباشرة وكذلك يرحم المبنى ساكنيه فيوفر لهم فى داخله مناطق ظليله تقيهم حر الشمس . كما يرحم المبنى المار فى الطريق

بإيجاد مناطق ظليله وإسبله لسقى العطشى فى الطريق .

الليونه : فالبناء يتخذ من الخارج شكلا شبه عضوى بينما ينتظم من الداخل . كالمسلم لين الجانب وقلبه ثابت العقيدة ..

الحرية : فكل فنان يمكنه أن يبدع بأية مقاييس دون التقيد بمقاييس ثابته كما كان الأمر فى عصر الأغريق والرومان . وإن يكن بعض الأساتذة يقولون أن هناك نسب أسلوبية ولكنى أراها أقليمية تتباين من إقليم إلى إقليم بعكس النسب فى العمارة الأغريقية مثلاً نجدها أنتشرت فى كل الأقاليم التى تبعتها ..

الإتقان : طاعة لأمر الله قال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » . ويتجلى هذا الأمر فى الزخارف التى تعامل معها بصبر لا ينفذ ..

الإيمان بالثواب والعقاب : ولقد تجلى هذا فى حب المسلم الزائد إلى الجنة ورغبته فى دخولها حتى أنه أدخلها إلى منزله عن طريق الماء والخضره والظل التى حرص على وجودها فى المسكن

حسن الجوار : قال صلى الله عليه وسلم « مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه .. » ولنا فى رسول الله أسوة حسنه فى تعامله مع جيرانه . فمن حق الجار على جاره ألا يؤذيه فى ماله وعرضه ونفسه وقد رأينا أنعكاس هذه المبادىء فى سمك الحائط على ألا يتمكن من التلصص على جاره . عدم جواز فتح شباك على منزل الجار . عدم جواز الأرتفاع بالبناء بدرجة التطلع إلى حرمات الجار وكشف عوراته . عدم جواز إلقاء الأذى والقاذورات أمام منزل الجار . مراعاة شعور الجار عندما يطعم طعام لم يطعم منه جاره .

لقد أتخذ المسكن في العمارة الإسلامية تخطيطه المعروف حول الصحن الداخلي في داخل المدن أو المحاط بالفناء الخارجي خلف الأسوار خارج المدن .

الشروط التي أتبعت في تصميم المسكن :-

- أن يكون المدخل متعرج على نفسه مرة واحدة على الأقل لمنع المارة من رؤية من في داخل المنزل .
- أن يحتوي الدور الأرضي على حجرة أستقبال للرجال متسعة مزدانة بالزخارف العربية . وتقعد و حجرة أنتظار وحجرات للخدم و مطبخ ودورات مياه ويسمى هذا الطابق "السلاملك" .
- أن يحتوي الدور الأول على حجرات المعيشة و النوم و قاعة خاصة بأستقبال السيدات ويسمى هذا الطابق "الحراملك" .
- تخصيص حجرة رئيسية تواجه البحري وتطل على الفناء الداخلي الذي يعتبر عنصر أساسي في التصميم .

~~أن يكون المدخل متعرج على نفسه~~

- أن تكون الفتحات و الشبابيك المطلة على الطريق ضيقة وجلساتها مرتفعة .

الرموز في عمارة المسكن الإسلامي

- البناء غير منتظم من الخارج بينما يحتوي فراغ منتظم من الداخل وكأن هناك رمز إلى أن هذا الدين يأخذ الأنسان بما فيه من خطايا فيطهره وينقيه فيصبح واضح المعالم وذلك من طريق أركان الأسلام الخمس . فالفناء ذي أربعة أركان تتوسطه نافورة وتكون مكانة ذلك المسلم رمز إلى الجنه من طريق الماء والخضره والظل التي كان الفنان المسلم يحرص على تواجدها

داخل المسكن رغم تواجده في بيئة صحراوية يقل فيها هذان العنصران إلا أن المسألة لديه تعبير عن عقيدة.

- البناء: ذو حوائط سميكة وفتحات قليلة وكأنه خزينة يحتفظ داخلها المسلم بكنوزه وأسراره رمز إلى قدسية الحياة الأسرية

- المدخل: من خلال طريق ضيق تعبير عن التواضع والرغبة في الإنتماء والتقارب بين المسلمين .. فالمنازل في مجموعها تتكاتف وتتلاصق وكأنها في صلاة دائمة لرب العالمين . قال تعالى في سورة الإسراء (٤٤) "وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم .. " والمنازل بتقاربها هذا ترحم بعضها البعض كما ذكرنا سالفاً، كما تقلل من الأتربة والرمال التي تصل إلى البيوت .. كما أنها تخلق فيما بينها مناطق ظلال تحمي المارة من الشمس وتوجد فراغات تساعد على مرور الهواء بينها وسط ظلالها.

كما أن لهذا المدخل عدة مزايا أخرى منها :-

- توفير الخصوصية لأهل البيت من تطلع الفضوليين
- لمزل الضوضاء عن المنزل " مكان المعيشة " حيث ينعكس الصوت أكثر من مرة فتقل حدته .
- توفير منطقة تدرج حراري بين فناء المنزل والطريق الخارجي.

- باب المسكن . ضخم كباب الخزينة لا ينفذ شيء تعاظم فيه معنى السر والستره رمز لاحترام وتقديس الحياة الأسرية يرتفع عن الطريق درجة واحدة وارتفاعه يناسب قامة الإنسان رمز للتواضع.

إذا فتح الباب سمعت له صوت وكأنه يعلن لمن في الداخل مقدم أجنبي إلى المنزل وهو يفتح في رحبة خافتة الإضاءة

سقفها منخفض مقبى تؤدى إلى ردهة أكثر وضوحاً في الإضاءة وتتدرج إضاءتها حتى تصل إلى الفناء ... فالله يأتي بالفرج بعد الضيق

فناء المنزل : إذا دخلنا إلى الفناء وجدنا الطبيعة الفناء حيث الخضرة والماء والظل وتغريد الطيور والروائح العطرة وابداع الفنان في تشكيل وتنسيق الفراغ . وكل هذه رموز إلى الجنة وكأن الرمز في منطقة المدخل لمعترك الحياة ومن يفوز في هذا المعترك يصبح نصيبه الجنة .. وكأن هذا هو جزاء من صبر ويكون بلا حساب .

و للفناء في المسكن الإسلامي عدة خصائص منها :

- أنه منتظم التشكيل ذو أربعة أركان تتوسطه نافورة تحيطها الخضرة من كل جانب .
- لا يمكن الوصول إلى أية عنصر من عناصر المنزل دون المرور فيه و خاصة مدخل الحريم .
- أبدع الفنان المسلم في تشكيل واجهاته وزخرفتها بخلاف الواجهات الخارجية تعبيراً على أن الحياة للداخل
- أفاد منه الفنان في تلطيف درجة حرارة المسكن حتى أن درجة الحرارة داخله تختلف عنها في الخارج بحوالي ١٧° مئوية .
- الحديقة داخل الفناء أتخذ الفنان تشكيلها وعناصرها من وصف الجنة في القرآن الكريم . فتخطيطها دائماً منتظم واضح متساوي من جميع الجهات . وأشجارها فاكهة ونخل وريحان محاطة بالظل من أكثر جوانبها فأحاطها بحجرات المسكن وكان من الممكن أن تكون الحديقة خارج المنزل غير ظليله ولكن الفنان المسلم أصر على وجودها هكذا تتوسطها النافورة

رغم تواجده فى بيئة صحراوية يقل فيها عنصر الماء والخضرة والظل إلا أن المسألة لديه تعبير عن عقيدة .

- نرى فيه إلتحام الحياة الدينية بالحياة الدنيوية ففى أحد أركانه تسكن دكة المقرئ وهذا التداخل الواضح هو سمة حياة المسلم .

السلالم : وننتقل إليه عن طريق سلم خارجى حر وآخر داخلى بين جدارين .. وهنا نشعر بحضور الفنان وكأنه يخاطبنا ويأكد نفس الفكرة التى خاطبنا بها فى المدخل لنقارن ونقيم أنعم الله ونقدرها .

ولكى نجلس فى القاعة يجب أن نخلع الحذاء فهناك ممر لمن يرتدى حذاء وباقى القاعة يرتفع قليلاً .. وكأن البيت فى أستعداد دائم للصلاة .

وقد أحاط الفنان المسلم القاعة بمجموعة من الدواليب الحائطية لعزل الصوت عن باقى أجزاء المسكن .

الحرملك : وننتقل إليه عن طريق سلم خاص أو عن طريق السلم الرئيسى بالمسكن .

ولقد تعاظمت فى القاعة فكرة الحجاب والخصوصية وغيرة المسلم على أهل بيته .. من الذين لا ينظر الله إليهم يوم القيامة الرجل الديوث الذى لا يغار على أهل بيته ..

• • •

وهكذا يتضح لدينا أن المسكن الإسلامى لم يكن مكان للبيات فيه ولكنه فكر .. وعقيدة . مبادئ .. وإلتزام

وللموضوع بقية سأتابع نشرها إن شاء الله نظراً لضيق المساحة التي حددت للموضوع والتي تعديتها رغم عني وأسأل الله التوفيق .

مهندس / جمال محمد حلمي عطية

القاهرة في ١٧ رمضان ١٤٠٠هـ

الموافق ٢٩ يوليو ١٩٨٠م

مسقط أفقى للدور الثانى
١ : ٤٠٠
يلاحظ الأحساس المرهف بالبعد الثالث «الارتفاع» فى أجزاء المنزل المختلفة
توجد شرفة عليا فى الغابة الكبرى لتمكن الحريم من متابعة الحفلات دون أن يراهم أحد.

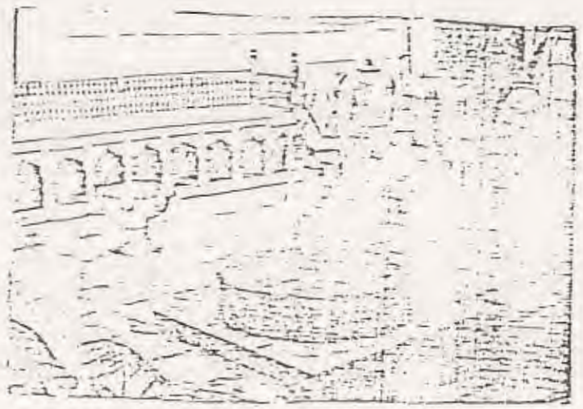

الناقورة فى الفناء الداخلى أستغلها المعمارى فى تلطيف الجو الداخلى للبيت إلى جانب استغلالها كعنصر جمالى.

مسقط أفقى للدور الثالث ١ : ٤٠٠
يلاحظ حديقة السطح التى أحاطها المعمارى العربى بساتر من خشب الزان لحجب الرؤية كما أستغلها كأداة لتخفيف الحرارة نتيجة للظلال التى تلقيها على السطح

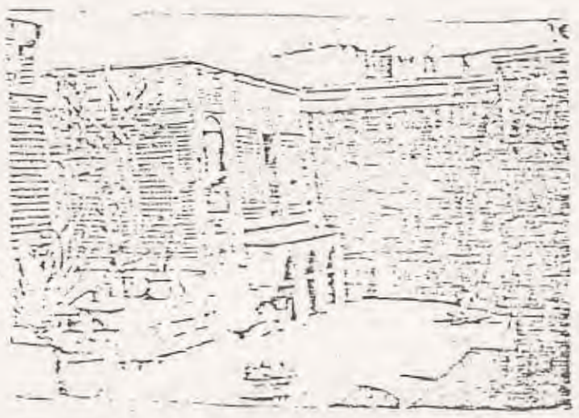

حديقة السطح التى أستغلها المعمارى العربى فى تخفيف الحرارة على الأسقف العليا ويلاحظ فيها الأحساس بالبعد الثالث (الارتفاع).

لوحة رقم ٢

قطاع رأسى P-P «طولى» 1 : ٢٠٠

يلاحظ استغلال الفتحات التى على الواجهة البحرية لتهوية الأجزاء الأخرى .. ويلاحظ أيضا نسبة البلكون إلى الارتفاعات ـــ

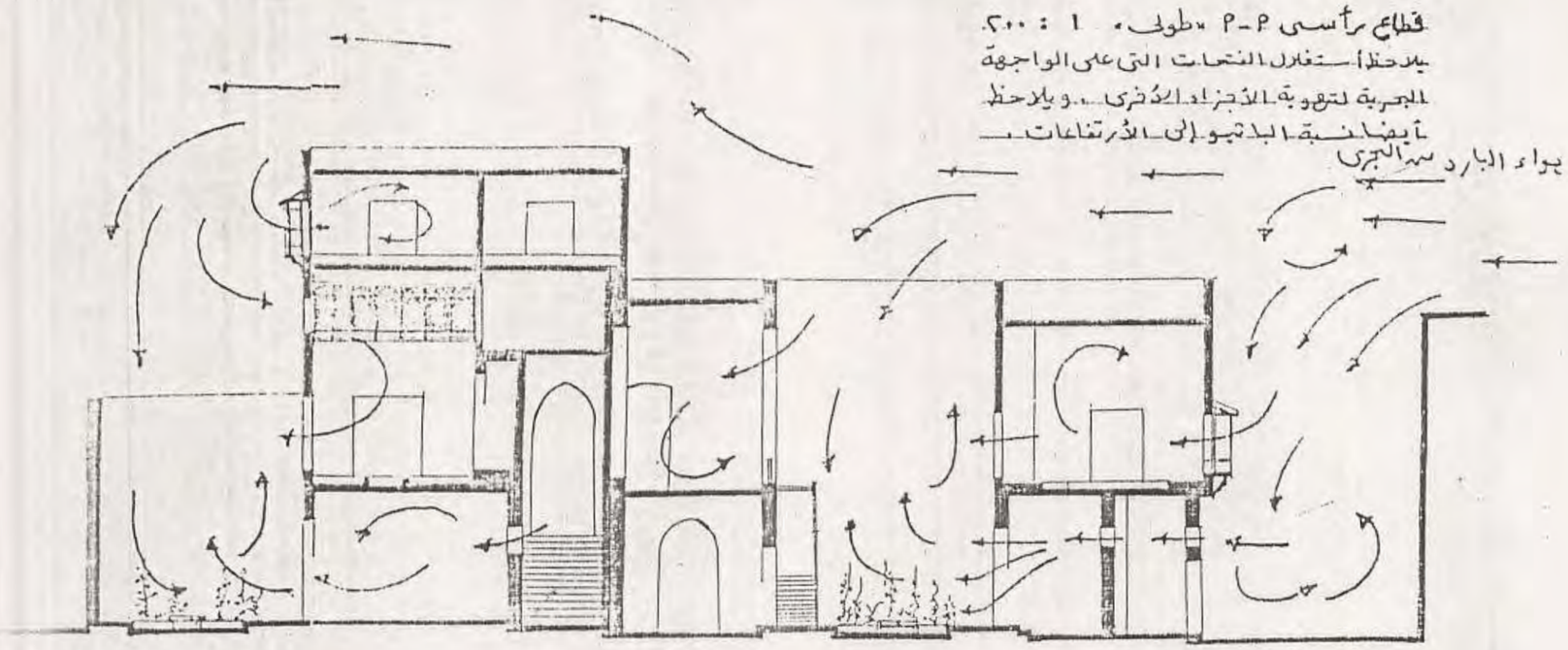

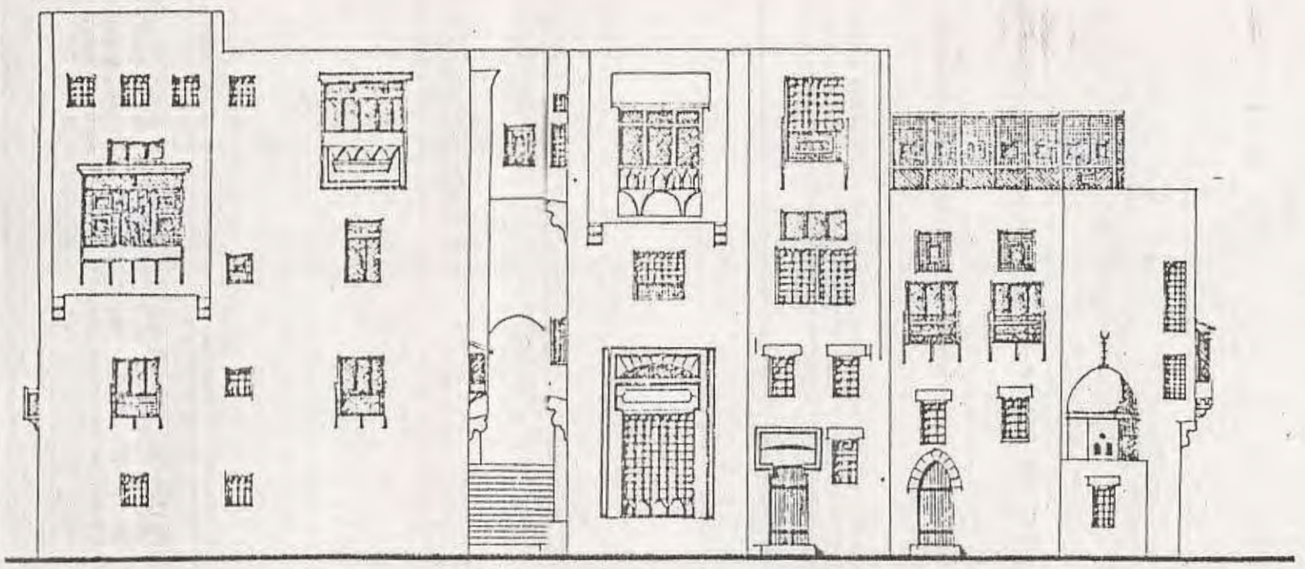

الواجهة الشرقية 1 : ٢٠٠

لاحظ تغطية الفتحات بقرط خشبى بنفق وزوايا ميل الشمس فيوجد قرط ميمون فى أسفل الفتحة وقرط مهريجى فى أعلى الفتحة ـــــ

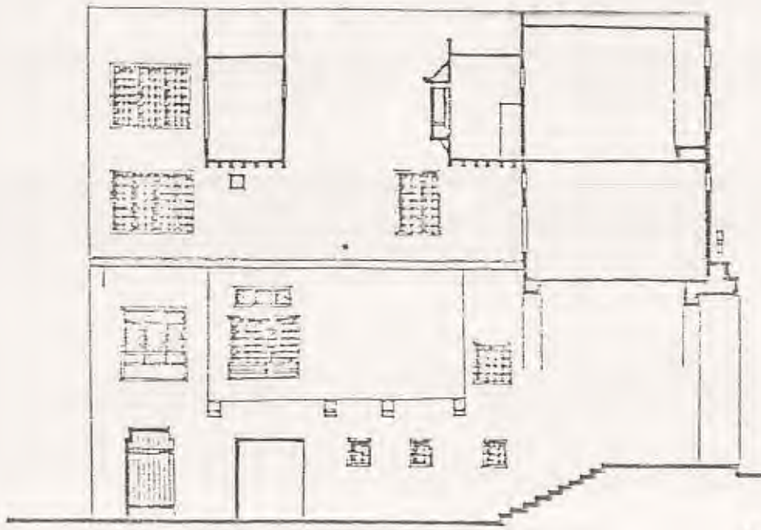

قطاع
لرأسي، عرضي ب-ب
: ٢٠٠

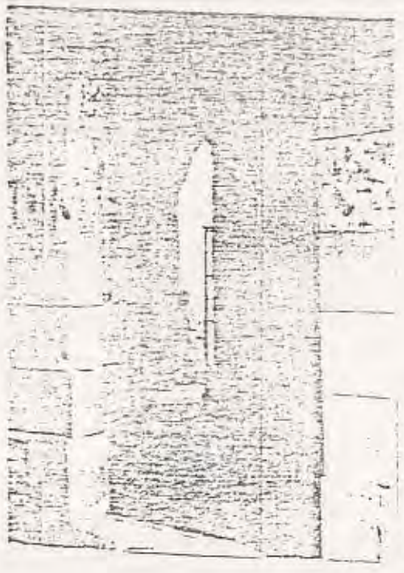

منظور للمدخل من الخارج
يوضح مدى الخزل والخصوصية
التي حققتها للمسكن .

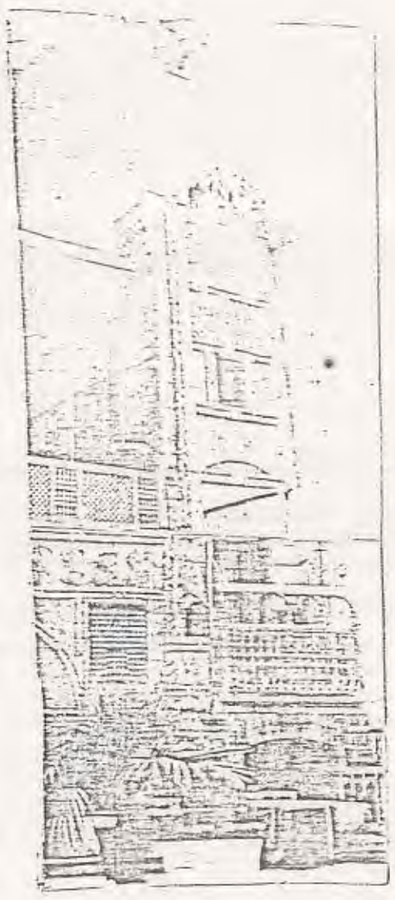

منظور داخلي يوضح استخدام
المعماري لمواد مختلفة في انسجام
تام .

لوحة رقم ٣

منزل الكريدلية

بميدان أحمد بن طولون

أنشاء هذا المنزل الحاج محمد سالم الجزار عام ١٦٢٨ م ، وهو من حيث تصميمه يشبه منازل القرن الحادى عشر حيث يحتوى على مقعد يشرف على الفناء الداخلى وقاعات علويه .

ويقابل هذا المنزل منزل آخر عرف باسم منزل أمنه بنت سالم ، يربطه بالأول سلملك يظهر من خلفه الباب الشرقى لجامع ابن طولون ، أنشاء هذا المنزل المعلم عبد القادر الحداد عام ٢١٥٤ ويحتوى على قاعة غنية بالنقوش الجيلة الصنع والفسقية التى نقلت إليها .

مسقط أفقى للدور الأرضى
١ : ٤٠٠
يلاحظ أن المدخل يؤدى إلى دهليز به مصطبة للاستراحة ثم ينتهى عند بابين أحدهما يؤدى إلى دهليز يؤدى إلى فناء الدار ، كما يوجد مدخل خاص للخدم وآخر للحريم .

مسقط أفقى تحليلى ١ / ٤٠٠
يوضح توزيع الوظائف

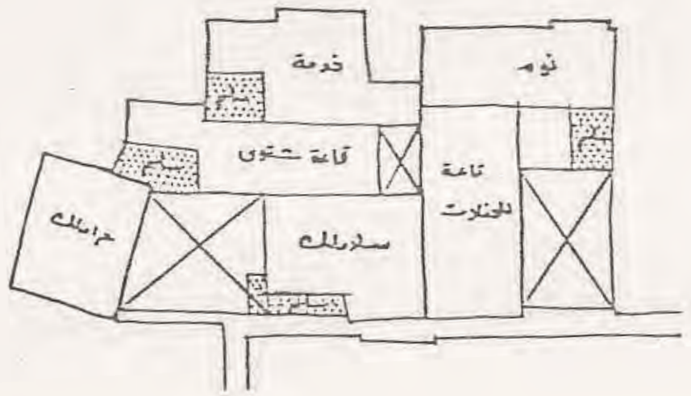

مسقط أفقى للدور الأول ١ : ٤٠٠
يلاحظ أن المقعد (السلملك) أمام الواجهة البحرية الداخلية . كما أن الحرملك وضع بحيث تتطلع سيدة الدار الأشراف على جميع أجزاء المنزل .

لوحة رقم ١/